Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا الطعينْ تلقَّاه وأرعفه حسبْتَه عاشقا يبكى على طلل

ونجد ذلك التناقض النفسى أيضًا حين يصف الماء يقطر من ذوائب شعر أسود جميل ، لامرأة خارجة من الحمام ، بأنه كالطل يسقط من جناح غراب ، وحتى مع افتراض أن الجارية كانت تقص شعرها على نحو « غلامى » ، وهى طريقة شاعت فى الأندلس زمنًا ، على نحو ما عليه الحال فى عصرنا ، إلا أن لفظ الغراب لا يستخدم ، ولا يثير ، فى العصر الوسيط ، وحتى قريب من أيامنا ، وفى بوادينا حتى الآن ، غير التشاؤم والقلق ، وتوقع الشر .

فإذا تركنا الجانب السلبى من فنه ، إلى ما هو إيجابى وجديد عنده ، وجدناه فى قصيدة المديح الثالثة ، التى توجه بها إلى السلطان محمد الغالب ، وعرضنا لها فيما سبق ، يسير على نهج جديد فى نظمه ، لحظه ابن الخطيب نفسه ، فقدم لها بقوله : « ومن نزعاته العجيبة قوله ، وقد سبق إلى غرضه غيره » . ويقوم الجديد فيها على أن الشطرة الثانية من كل بيت ، فى القصيدة كلها ما عدا المطلع ، تتكون من جملة اسمية خبرها شبه جملة مقدم ، والمبتدأ مثنى مؤخر ، أو فعلية وفاعلها مثنى ، وفى الحالين يُبادل من المبتدأ أو الفاعل مضمونه مفردين معطوفا أحدهما على الآخر ، لا يشذ فى ذلك ولا مرة واحدة ، وهى ظاهرة إن دلت على التمكن والمقدرة فإنما تدل فى الوقت نفسه على أن الصناعة بلغت عنده غايتها .

ويستخدم المحسنات البديعية قليلاً ، على غير عادة الشعراء فى عصره ، ونجد منها عنده « اللف والنشر » ، كما فى الأبيات التى يصف فيها غلامًا ، وذكرناها من قبل ، والطباق أحيانًا ، ويستخدم الجناس نادرًا .

ولم يشر أحد ممن ترجموا له أنه عنى **بالموشحات** ، أو أبدع فيها شيئًا ، أو أعارها جانبًا من اهتمامه ، وهى ظاهرة لافتة للنظر ، فقد بلغ هذا الفن فى عصره ، والعصور التى سبقته ، قمة توهجه ، شيوعًا وفنًا وإقبالاً ، ومن يدرى ، فربما قال فيها شيئًا ولم يصلنا .